

حول دراسة في

جغرافية المملكة العر

لايعزب عن بال كل متعلم في الجزيرة العربية مدى الإهمال الذي يلف معظم أقاليمها . . والإبهام الذي يضرب أطنابه على تاريخها وآثارها وثقافتها من شعر وأساطير وقصص وأمثال وأناشيد وغيرها من الضروب « الفلكلورية » المنطوقة وغير المنطوقة ، وتطور لهجاتها ، وقدر صلة تلك اللهجات باللغة العربية الفصحى .

عودية "مُدينة بريدة"

للدكتور محمد السليمان السديس
أستاذ مساعد – جامعة الملك عبد العزيز
مكة المكرمة

إن المواطن يتطلع برغبة وشغف شديدين إلى معرفة الكثير عن كل مدينة وبلدة في هذه الجزيرة . . وتحدوه أشواق لمعرفة تاريخها . . من أول من بناها وكيف ؟ وما اسمها القديم ؟ وما سبب تسميتها ؟؟ وما مدى وثاقة صلتها بالتاريخ العربي والإسلامي ؟ وماذا خلَّفت لنا أجيالها المتتالية من ثمرات تجاربها من ثقافة أو أدب أو فن أو علم أو عبرة تاريخية ؟

إن الحظ قد يُنْجِدُ هذا الباحث المتسائل فيَجمَعُهُ بمن يعرِّفه على بعض ما جهل ، ولكن في أغلب الأحيان تبقى علامات الاستفهام عالقةً بذهنه لا تحظى بجواب .

ولو كان الغموض منحصراً فيما عفَّاه الزمن ومحت ذكراه البيض والسود ، وأوغل في أعماق الزمن لما كان للاستغراب مكان ، ولقنع المرء بما يتيسر له الوصول إليه ، وما يمكن انتشاله من براثن الدهر ومتون صفحات كتب التراث ، لكنّ ما يشدَهُ له الانسان ويأسى له معاً أن أحوالا وشئوناً حديثة الوقوع وذات مساس وثيق بمدن وأقاليم الجزيرة طواها النسيان أو كاده لقلة التفات الناس إليها وإيفاء ما هي قمينة به من اهتمام وما يليق بها من عناية .

على أن تباشير الفجر بدأت تلوح للعيان ، فصرف بعض الأدباء اهتمامهم إلى هذا الجانب وبدأت أقسام الجغرافيا في جامعاتنا تعي واجبها نحوه . . واختار بعض الباحثين مناطق معينة جعلوها مواضيع لبحوثهم العلمية في الجامعات أو ألفوا عنها كتبا وكتبوا بحوثا ومقالات .

وما كانت منطقة القصيم بدعاً من الأقاليم المذكورة فإن ما قلناه ينطبق عليها تماماً . . إنّ الجهل يقف حائلاً منيعاً بيننا وبين الكثير مما نود معرفته عنها وعن مدنها وقراها وجبالها ، وعلى الرغم مما كتبه عنها

بعض المؤرخين والجغرافيين كابن بشر وابن غنّام وابن عيسى وابن بسام ومقبل الذكير وابن بليهد رحمهم الله وماكتبه ويكتبه الشيخ محمد العبودي الذي ملأ مكانا خالياً واسعاً بكتاباته المحققة المدققة .

وقد أدلى أيضاً الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الشريف بدلوه وألف كتابا عن منطقة عنيزة بعنوان (منطقة عنيزة . . دراسة إقليمية) حوى الكثير من المعلومات النافعة التي جاءت في أوانها .

كما كتب بحثاً ذا عشرين صفحة عن مدينة بريدة (في مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الخامسة ، ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ — مارس ١٩٧٩ م ص ٢٥٢ — ٢٧٢) بعنوان « دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية — مدينة بريدة » ومثلما أن الدكتور الشريف طرق موضوعا بكراً أو شبه بكر لما ألف كتابه عن منطقة عنيزة فإنه ببحثه هذا أيضاً تناول موضوعاً فتيّاً ، وسلك درباً غير مأثور كثيرا ، فأفاد القارىء وأمتعه ، وأدّى حقّاً عليه هو حق على كل عربي نحو بقعة من هذه الجزيرة الأم التي انطلق منها الأجداد فنشروا الإسلام في أماكن قصيّة . . ووطدوا القدم العربية في بقاع نازحة الغور كان الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان . . وصنعوا لنا أمجادا عظيمة باليتنا نتخذ منها مشاعل هادية مشعّة نستضيء بنورها ، ولا نكتفي بترديد القول ترديداً أباهَ مملاً عما صنع أقدمونا فتلهينا صنائعهم عن صنع أي شيء كما ألهت التغلبيين عن المكارم قصيدةُ شاعرهم ابن كلثوم .

استهل الدكتور الشريف بحثه بتعريف موجز لبريدة الحالية ومكانها على الخريطة في المملكة والتركيب الاجتماعي لقاطنيها .

وبعد أن أدخل القارىء إلى الموضوع تقهقر ليحدثه عن تاريخ بريدة منذ العصر الجاهلي ، ثم عن موقعها الجغرافي . . ثم انتقل إلى الحديث عن سكانها والظروف التي ساعدت على ازدياد عددهم ، والتغيير الذي طرأ على شكل المدينة ودُورها وأسواقها ، والتطور الحضاري الذي زحف إليها وبعد ذلك قارن بين بريدة في الماضي وبريدة الحديثة ، ونفذ إلى أهم ميدان تتميز به بريدة خاصة والقصيم عامة ، أعني الزراعة والثروة المائية فروى قصة اكتشاف مياه بريدة الباطنية العميقة عام ١٩٥٤م ، وأشار إلى عمليات الحفر التي تتابعت منذ ذلك الحين وضياع كيات من المياه سدى لعدم استيعابها مما خلق مشكلة تملّح التربة . ثم تحدث عن وضع بريدة الإداري وتجاوز ذلك إلى الحديث عن عنيزة !

ولم يغفل الكاتب عن الإلمام ولو سريعاً بالتعليم ولكنه قصر اهتمامه على التعليم الحكومي ولم يعير الكتاتيب التي كان يزخر بها الجامع الكبير في بريدة في الماضي القريب ما تستحقه من التفات . . مع أن بمقدرة أي مهتم بالتعليم الرسمي العثور على كل ما يريده من معلومات بأيسر السبل . . أما الذي يتطلع إليه المرء بشغف فهو النمط القديم من التعليم في الجوامع والمساجد وطرقه ومجالات اهتماماته وأماكن انعقاد الكتاتيب ، وأسماء العلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس ، وبعض أسماء الطلبة الذين تعلموا بتلك الطريقة وما آل بهم الأمر فيما بعد !

ثم وجه الأستاذ الدكتور الشريف اهتمامه إلى المواصلات التي تربط بريدة بما حولها بل وبالمناطق النائية عنها ، من برية وجوية . . ومرة أخرى وجد الباحث الطريق ميسَّراً جداً فسلكه . . إنّ أيّ فلاح في القصيم وكثيرين من البدو خارجه لا يجدون ــ صعوبة تذكر في معرفة الطرق التي تربط بريدة والقصيم حالياً بالمناطق الأخرى . إن ما تجهله الغالبية وتعلمه قلة قليلة

هو المسالك التي كان ينتهجها الجمّالون من (العقيلات) وغيرهم دالفين إلى بريدة تحمل قوافلهم الأقمشة والملابس والقهوة والتوابل من العراق والشام وخارجين منها بالقمح والتمور . . إن الكتابة عن تلك المسالك غير ميسرة . . والمصادر نزرة . . والاطلاع عليها دونه خرط القتاد . . لكن القاريء يجد فيها ضالته . أما غيرها فما عليه إلا أن يذهب إلى المنطقة ويستفسر عما يريد تعليما كان أو صحة أو مواصلات من الدائرة الحكومية ذات الشأن .

وقبل أن يختتم الدكتور عبد الرحمن الشريف بحثه يشير إلى ما سماه تسمية موفقة « بعض الإرهاصات الصناعية » ويخص بالذكر « مشاريع الراشد » و « مشروع الألبان للمشيقح » . . . وما قلناه عن موضوع المواصلات ينطبق بحذافيره على هذا .

ومع ذلك ففي البحث تسجيل نافع لأحوال بريدة الحديثة يستمتع بها المهتم بالمنطقة وبهذا النوع من الدراسة ، ولاشك أن جدوى هذا البحث وأمثاله تزداد مع مرور الزمان وتقادم العهد على المعلومات التي يحتويها .

وبعد هذا الحديث العام نقف مع الأستاذ الكاتب وبحثه وقفة أطول قليلا آملين أن لا تكون أكثر إملالا .

أسلوب البحث

يبدو لي أننا لا نجور كثيراً في تقديرنا للبحث إذا وصفنا أسلوبه بأنه غير أدبيّ وأقل جزالة مما ينبغي لبحث في موضوع إنساني ينشر في مجلة علمية أكاديمية . . وكثير من عباراته وجمله قد تكون لائقة إذا تُحدِّثُ

بها شفهيا في مجلس أو (ديوانية) . لكنها ضعيفة وواهنة لا يقنع بها القاريء المتعلم . . وبعضها مهلهل وفكرته غير جليّة فمثلا في ص ٢٥٦ س ٢٠ و ٢١ يقول الأستاذ الباحث : (وتتصل عبر وادي الرمة جنوباً بعنيزة فوشم العارض فالعارض كما كانت غرباً صعدا في مجرى وادي الرمة بالمدينة وما يليها) فمن (كما كانت) إلى نهاية الجملة المعنى غير واضح . ولعل اللبس يخفّ بإضافة (تتصل) بعد (كما كانت) .

وفي س ١٩ و ٢٠ من الصفحة عينها قال (وتتصل ، أي بريدة ، بحائل وبعدد كبير من قرى المنطقة شمالا بغرب) وأعيد نحو ذلك في ص ٢٦٩ س ١٣ فورد (جنوباً بشرق وجنوبا بغرب) ! صحيح أن المعنى مفهوم لكن العبارتين ركيكتان والأولى تقوية صياغتهما بأن يستبدل بالأولى مثل (وتتصل بحائل وبعدد كبير من قرى المنطقة الواقعة في الشمال الغربي) أو (الواقعة في شمال غربيها) وبالثانية (إلى الجنوب الشرقي والجنوب الغربي) .

وفي ص ٢٥٩ س ٢ و ٣ و ٤ قال الأستاذ الباحث : (. . ومحافظتهم على تقاليدهم الاجتماعية السابقة أكثر من أي مدينة كبيرة أخرى والتي من ضمنها وجود الأسرة . .) .

ألا توافقني أن هذا التركيب غير محكم ؟ وأنه لابد من إعادة بنائه على هذا النحو (ومحافظةُ سكانها – أي بريدة أشدُّ من محافظةِ سكان أي مدينة كبيرة أخرى على تقاليدهم الاجتماعية السابقة والتي من ضمنها وجود الأسرة . . . .) .

وفي ص ٢٦٠ س ١٧ جاء (خلق مشاكل بتلك المدن من طبيعة وحجم

غير معهودين) ليتك استبدلت بهذا أن تقول (خلق مشاكل في تلك المدن ذات طبيعة وحجم غير معهودين) .

وفي ص ٢٥٨ س ٢ ورد (ولا تقلّ ولا بحال من الأحوال) الواو و « لا » بعد (ولا تقلّ) طفيليتان غير مرحب بهما فلو أخرجتا لقويت الجملة وصحت .

وفي س ١٤ من الصفحة نفسها ورد (إلى كونها أصبحت) هذا تعبير فيه ثِقَل وركاكة لتتالي فعلين للكينونة . وبديله (إلى أن أصبحت) .

وفي ص ٢٦١ س ٥ و ٦ ورد (هذا بالإضافة إلى جانب وظائف البلدية) . وإيراد عبارتين بمعنى واحد لا مسوِّغ له وعيبه أبين من أن يتطلب أي تعليق .

وأعيد ذكر لفظ (العامّ) في الأسطر ٥ و ٦ و ٧ من الصفحة نفسها بصيغة المذكر في س ٥ وبصيغة المؤنث في س ٦ و ٧ .

وفي ص ٢٥٥ جاءت (ماعدا) في س ١٩ و ٢١ .

وليأذن لي الكاتب الكريم أن أذكِّره بما أعرف أنه يعلمه حق العلم وهو أن إعادة اللفظ نفسه في جمل متقاربة من الأمور المعيبة في الكتابة الجيدة .

وفي ص ٢٦٣ س ١١ ورد (وزاد في المنطقة وتَنَوعٌ) . ما الذي زاد ؟ وما الذي تَنَوَّع ؟ لعلك تعني الإنتاج الزراعي ! ؟ إذن قل ذلك !

وفي س ١٤ قال الدكتور الشريف (كمختلف أنواع الخضروات والفواكه) الكاف هنا للتمثيل فكان ينبغي ذكر مثال واحد معين أو مثالين

بعينهما كأن تقول (كالبطاطس والعنب) . أما هذا التمثيل المبهم فهو وعدمه سيان إذ تكفي عنه عبارة (المنتجات الزراعية الجديدة) السابقة له مباشرة .

وفي ص ٢٦٤ س ٢١ قال الدكتور الشريف (وهذا يجعل منطقة بريدة وحدها تملك نحو ٢٠٪ من مساحة الأراضي) . . . ، خير من هذا أن تقول (وهذا يعني أن ٢٠٪ من مساحة الأراضي يقع في بريدة) لأن استعمال (تملك) في مثل هذا السياق غير جيد وقد كثر استعمالها حديثاً تأثراً بلفظ الملكية في اللغات الأوربية .

وفي ص ٢٥٣ س ٣ ورد (على بعد ٥٠٣ كم شرق شمال شرق المدينة المنورة) ما معنى هذا الكلام ؟ .

وفي ص ٢٦٧ س ١٠ وردت هذه الجملة (وكانت تضم هذه المدارس . . .) ويجب هنا تأخير الفعل المضارع بحيث يقع بعد (المدارس) أو تقديم (هذه المدارس) على (كانت تضم) .

س ٢٠ ورد (مع أقل نسبة من الضرر) وصحته (بأقل نسبة . . .) .

س ٢٧ ورد (وضعت دراسات بتصريف مياه المطر . .) الصحيح (لتصريف مياه المطر . .) .

أمور لغوية ونحوية

جاء في ص ٢٥٣ س ٥ (عرفت بريدة كورد . .) وفي ص ٢٥٦ س ١٧ (عرفت كمحطة في طريق حجاج العراق) . الكاف تكون لمعان

عدة : التشبيه كما في (أنت كالسراج) أو التعليل كما في قوله تعالى : (واذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) ، والاستعلاء كما في (كونوا كما أنتم) . والمبادرة كما في (احضرْ كما تعلم) . والتوكيد كما في قوله تعالى (ليس كمثله شيء) .

أما الكاف هنا فهي ترجمة لكلمة (as) في الإنجليزية ويحسن تجنّب استعمالها .

وفي ص ٢٥٥ س ٨ ورد (الاحتلال التركي المصري عليها) وصحة العبارة (احتلال الأتراك والمصريين إياها) .

س ١٢ ورد (حينما اتّبعتْ للدولة السعودية) صحة الفعل هنا أن يكون بصيغة الثلاثي المجرد فَعِلَ كَفَرِحَ فتكون العبارة (تبعت الدولة السعودية) أو (للدولة السعودية) .

س ٢٤ ورد (الذي اطلعت به) ولعل المراد (اضطلعت به) .

وفي ص ٢٥٦ س ٣ ورد (صعافيك) وصحتها (صعافيق) وتلفظ القاف هنا كلفظ الدال الزاي مجتمعين ساكنتين (دْزْ) على عادة النجديين في لفظهاً بعض القافات .

س ١٨ استعملت كلمة (المزفلته) وكذلك في ص ٢٦٠ س ١١ وفي ص ٢٦٧ س ١٩ وفي ص ٢٦٩ س ١ ، وفي الحالة الأولى وضعت بين قوسين ومن عادة بعض الكتاب عمل ذلك إذا قصدوا استعمال لفظة بذاتها بسبب في نفس الكاتب كأن يريد ذكرها ذاتها لأدائها مدلولاً لا يعبرّ عنه غيرها ، أو لأن الذاكرة لم تسعفه ببديلة لها . . لكن في الحالات الثلاث

الأخيرة لم تُحطّ بأي أقواس . . . إن للمرء مندوحة واسعة عنها باستعمال لفظ (المعبدة) الجيد المألوف .

وفي ص ٢٥٧ س ٢٣ و ٢٤ ورد (ويُعتبرَ هذا الرقم كبير جداً) والصواب نصب (كبير) فهي مفعول ثان لـ (يُعتبَر) والمفعول الأول هو اسم الأشارة الذي صار نائباً للفاعل .

وفي ص ٢٦١ س ٤ آثر الباحث الفاضل استعمال لفظة (التليفونات) الأجنبية الأصل والمستعملة في لغة الحديث مع أن لفظة (الهواتف) السائرة الآن تغنينا عنها في لغة الكتابة .

س ٨ استعمل لفظة (الأوتوماتيكية) المجلوب والمتداول في لغة الحديث ، وترك لفظ (الآلية) الأصيل .. وأعاد ذلك في ص ٢٧٠ س١١ .

س ١٨ و ١٩ ورد (بأشجار الأثل المزروعة في الرمال) والأصحّ (المغروسة في الرمال) .

س ٢٤ ورد (١٥٤ موظف) ، ونصب (موظف) محتّم ، فهي تمييز .

س ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ ذكرت (ريال) أربع مرات هكذا خطأ ، والصواب (ريالا) فهي منصوبة لأنها تمييز .

وفي ص ٢٦٩ س ١ ورد (ست طرق مزفلتة اثنتان منها محليتان) إلى هنا والجملة صحيحة . لكن ورد بعد ذلك (وأربعة منها تتجاوز حدود أقليم القصيم والصواب (أربع منها) .

والطرق جمع طريق تذكر وتؤنث[1] . . لكن لابد من اختيار أمر واحد والاستمرار عليه في الجملة الواحدة .

س ١٠ من الصفحة نفسها وفي ص ٢٧٠ س ٢ ورد (مليدة) وصحتها (مليدا) كما نسمى في التقسيم .

س ٧ (من صفحة ٢٧٠) ورد (مشترك) وصحتها (مشتركاً) فهي تمييز .

أخطاء في المفردات : نذكر منها فيما يلي عشرة فقط :

في ص ٢٥٣ س ١٧ ورد (بن أعسر) وصحته (بن أعصر)[2] .

وفي ص ٢٥٦ س٢٦ ورد (مراكزا) وصحتها إفرادُها .

وفي ص ٢٥٧ س٢ ورد (البكرية) وصحتها (البكيرية) .

س ١٨ ورد (لا تتجاوز عدد سكانها) ولا يخفى أن الفعل هنا واجب التذكير .

س ٢١ ورد (مدينة متوسط الحجم) وصحة العبارة لاتخفَى .

وفي ص ٢٦٠ س ١٨ ورد (أماكنياتهم) والمراد (إمكانياتهم) .

س ١٧ ورد (طبيعية) والمراد (طبيعة) .

وفي ص ٢٦١ س ٩ ورد (القصم) والمراد (القسم) .

وفي ص ٢٧٠ س ٧ت٨ ورد (بها سبعة خطوط . . . يربط اثنتان منها) ولا يحتاج القاريء إلى لفت نظر إلى موقع الخطأ هنا .

س ٢٤ ورد (تتسع) وصحتها (تسع) .

ومن المؤكد أن بعض هذه الأخطاء مما اقترفته المطبعة ولا يد للباحث فيه ، فلا تثريب بسببها عليه ، و (لا تزر وازرة وزر أخرى) .

وإذا انصرفنا عن هـــذه الجوانب إلى ما هو أهم كثيراً ، أعني المعلومات ومدى دقتها فإننا نجد كثيراً منها ثمرة بحثٍ جادٍ وتقصٍ أمين ، لكنّا نصادف أيضاً شيئاً من عدم الدقة وعدم تمحيص المادة والتثبت منها قبل نشرها ، فقد أرخى الباحث أصابعة لقلمه ليسجل أشياء دون اعتماد على مصادر يبني عليها أحكامه ووصفه . . أو هو لم يكلف نفسه عناء ذكر تلك المصادر للقارىء ، وما في ذلك من عناء . وذكر المصادر أمر لابد منه لا للالتزام بالأمانة العلمية فحسب ولكن ليضفي على بحثه قيمة علمية لا إخاله نالها لوضعه الذي هو عليه الآن . . من ذلك :

(ا) تحريفات في أسماء الرجال :

في ص ٢٥٣ س ٢١ وفي ص ٢٥٥ س ١ و ٣ ورد (الدربني) هكذا بدال وراء فياء فنون ثم ياء النسبة ، وهذا خطأ ، وصحة الاسم (الدريبي) ما قبل ياء النسبة باء موحدة تحتية لاياء[٣] ، وآل الدريبي أسرة بل أسر معروفة في القصيم .

وفي ص ٢٥٥ أيضاً س ٤ ورد (حجلان) و (آل حجلان) هكذا ، وصحتهما بصيغة التصغير : (حجيلان) و (آل حجيلان) كما هو معروف وأنظر إن شئت صحيح الأخبار لابن بليهد ج ١ ط ٢ ص ١٥٤ .

(ب) الدقة العلمية في إيراد المعلومات :

١ ــ ذكر (وشم العارض) ص ٢٥٦ س ٢٠ ولم يشر إلى المصدر المعتمد عليه في هذه التسمية كما في بعض التسميات الأخرى ، سواء أكان شخصا أو أشخاصا موثوقا بهم ، أو مصدراً مكتوبا وبعض الذين قرأوا هذا البحث الممتع مثلي لم يسبق أن طرقت أسماعهم إضافة الوشم إلى العارض . . والشائع المعروف هو تجريده من الإضافة وتعريفه بأل . . فلو ذكرت مصدرك أيها الباحث الكريم لأسْكَتَّنا وأفدتنا في أن واحد . ثم إن كانت التسمية هذه أصيلةً . فإنّ هذا يوحى بأن القصد التمييزُ بين هذا الوشم ووشم آخر ، فما ذلك الوشم ؟

٢ ــ في ص ٢٦٣ س ٢٣ ورد قول الأستاذ الباحث (وقد وصفت بريدة منذ عهد بعيد في الأدب القديم « بأنها مدينة كثيرة النخيل والبساتين » وكانت حدائق النخيل تحيط بها من معظم جهاتها) .

من الذي وصف بريدة في عهد بعيد في الأدب القديم بكثْرة نخيلها وبساتينها ؟ ليتك استشهدت بنص أو نصين من ذلك الوصف لتكسب العبارة وزنا هي بماسّ الحاجة إليه . ثم أي عهد بعيد نعني ؟ وأي أدب قديم ؟ لو مثّلت لزال الإبهام من حديثك .ثم أنك في عبارتك هذه عمدت إلى جملة فوضعتها بين علامات تنصيص مما أوحى بأنها مرويّةٌ نصّاً . . لكن لاأثر لأي إشارة لمصدرها . إن البحث العلميّ الجادّ كبحثك لابد فيه

من نسبة النصوص إلى أصحابها مهما كانت موجزة ، والاعتماد على مصادر معتبرة وذكرها في متن البحث أو في حاشيته . أمّا سرد الأوصاف المبهمة والعبارات التي يعوزها التحديد فمن شأنه أن يُفقد البحثَ نصيباً غير ضئيل من قيمته ، ويحجب عنه الهدف الذي من أجله كتب .

٣ – وردَ في ص ٢٦٤ س ١٤ و ١٥ (غير أنه يتهيّأ لنا أنها تضمّ كل منطقة الأسياح ، وبعض المساحات من منطقة الرس كالبكيرية ومن منطقة عنيزة كالمذنب ، ومنطقة الفوارة كعيون الجوى).

من قال أن البكيرية مساحة من منطقة الرس ؟ وأنّ الفوّارة من منطقة عيون الجوا ؟ هذا يا دكتور عبد الرحمن إطلاق للقول دون تثبّت منه . إنّ المصدر الذي تشير إليه هنا هو مقال لك أنت في مجلة الخفجي ؟ وأظنك الخفجي ؟ وأظنك تعذرني إذا زعمت أن ذلك غيرُ كافٍ ! إن الفوّارة ، لا البكيرية ، هي الواقعة قرب الرسّ ، لا قرب عيون الجوا ، كما قلتَ .

٤ – في ص ٢٦٧ س ٢٤ قال الدكتور الشريف : « وقد تم إنشاء الطرق المعبدة في هذه المنطقة خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين فكانت في مواقع الطرق السابقة أو محاذية لها » . اسمح لي يا دكتور عبد الرحمن أن أسألك غيرَ مُلحفٍ عن مصدر هذه المعلومة ، ومن أين لي ولك بالخبر اليقين عن أن الطريق القصيمية الحالية المعبدة « في مواقع الطرق القديمة أو محاذية لها » . ألا توافقني رغم ما قلتَه أن من غير الهيِّن معرفة ذلك ما لم تُعينّا حفريات أثرية أو أدلة مكتوبة أو روايات

شفهية متواترة ؟ . فهل اعتمدتَ على واحدة من هذه الثلاث ؟ ستجيب بالنفي . وعندها أستأذنك بأن أقسُوَ عليك هذه المرة وأصارحك بأن كلامك هذا مرتجل غير مبنيٌّ على أساسٍ علمي .

وماذا تقصد بعبارة (أو محاذية لها) الموغلة في الإبهام ؟ إن كان القصد التخلص فقد تفي بشيء منه ، وإن كان القصد إيضاح الحقيقة عن وضع الطرق فإنها لا تغني من الحق شيئاً .

٥ – ذكر الباحث الفاضل أن بريدة عرفت في صدر الإسلام باسم (عكيرسة) – أنظر ص ٢٥٣ س ١٦ – وعبارته توحي بأن ياقوتا ذكر ذلك والحق أن الأمر بخلاف ذلك . . والجزء الذي أورده الأستاذ الباحث من تعريف ياقوت بعد ذلك لم يرد فيه ذكر لعكيرسة .. وإذا رجعنا إلىالنص كاملا في معجم البلدان فإننَّا لا نجد فيه ذكرا لها(٤) .

٦ – قال الأستاذ الباحث في ص ٢٥٣ نفسها س ٢١ « إن الذي اكتشف ماء بريدة من جديد هو راشد الدريبي . . » وقد بيّنّا أن صحة آخر الاسم الدّرّيبي بالباء . وقد اقتبس الكاتب هذه المعلومة من ابن بليهد كما أشار هو إلى ذلك . لكن الحقيقة أن ابن بليهد لم يذكر الاسم الأول للدريبي فلا نعلم من أين جاء به الكاتب . وسواء أكان هذا صحيحاً أو غير ذلك فمن غير الصواب أن يشير إلى ابن بليهد مع تصرفه بما اقتبس حتى وإن أضاف إليه شيئاً صحيحاً إلا إذا بيَّن إضافته .

٧ – قال الدكتور الشريف في مقدمة موضوعه ص ٢٥٣ س ٧ وما بعده « ينحدر سكان بريدة من قبائل شتى اشتهروا في الماضي

بتجارة الإبل ، وقد تطورت تجارتهم فيما بعد فشملت مختلف أنواع السلع قديمها وحديثها . . . » .

وهذا القول لاغبار عليه . . . بل هو « معرفة شائعة » كما يعبر الإنجليز تعلّمُها العامة بل والخاصة . ومع ذلك فما أن قرأته حتى أحسست أنه شبيه شبها كبيراً بقوله ابن بليهد « وسكان بريدة ليسوا من قبيلة واحدة ، هم من قبائل شتى ، ولكن كلمتهم مجتمعة ، يتجرون الإبل ، وفي السنين الأخيرة اتجروا في جميع أنواع التجارة . . . »[٥] . ولم يشر الكاتب إلى أنه يستشهد بكلام ابن بليهد . . وأدع المقارنة والاستنتاج للقاريء دون تعليق .

وقبل أن اختم حديثي عن هذا الموضوع أحب أن نتأمل سوياً ما ذكره ياقوت عن بريدة . . إنا نجده يذكر أم ولد جعدة ابن غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، وأن اسمها **ضبينة بنت سعد بن غامد من الأزد**[٦] ، ولنتأمل أكثر (بنت سعد بن غامد من الأزد) ألا يشككنا ذلك في أن المقصود بريدة القصيم ؟ أليس محتملا أن تكون بريدة أخرى في المرتفعات الجنوبية الغربية من الجزيرة والتي شملها قديماً لفظ اليمن حيث غار عليها الأزديون .

الهوامش

(١) أنظر مثلا « مختار الصحاح » لمحمد بن أبي بكر الرازي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٦م ص ٢٩١ .

(٢) أنظر « ياقوت – معجم البلدن » مادة « بريدة » .

(٣) أنظر محمد بن عبد الله بن بليهد ، « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » ، ١ ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ ، ص ١٥٤ .

(٤) هذا هو نص ما جاء في معجم البلدان : « مادة بريدة » « بريدة تصغير بردة : ماء لبني ضبينة وهم ولد جعدة بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان عبس وسعد أمهما ضبينة بفتح الضاد وكسر الباء ، بنت سعد بن غامد من الأزد ، غلبت عليهم ، ويوم بريدة من أيامهم » ! !

(٥) محمد بن عبد الله بن بليهد ، « صحيح الأخبار » ، ١ ، ص ١٥٥

(٦) ياقوت « معجم البلدان » ، مادة « بريدة » .